

الكتابة من داخل الجرح - حدود الاعتراف وجراحة الانكشاف في سيرة "أوراق حياتي" لـ "نوال السعداوي"

Writing from within the wound - the limits of confession and the boldness of exposure in the biography of "my life papers" by "Nawal Al -Saadawi"

د.جنات زراد^{1*}، ط.د. جيهان كوثر خالدي²

¹ جامعة العربي التبسي-تبسة (الجزائر)، djanette.zerrad@univ-tebessa.dz

² جامعة العربي التبسي-تبسة (الجزائر)، djihenekaouthar.khalidi@univ-tebessa.dz

تاريخ الاستلام: 2025-09-10 تاريخ القبول: 2025-11-07 تاريخ النشر: 2025-12-14

مُلَخِّصُ الْبَحْثِ

تتناول هذه الدراسة تمثالات الاعتراف المخجل في سيرة "نوال السعداوي" "أوراق حياتي" من خلال مفهوم الكتابة من داخل الجرح، باعتبارها ممارسة سردية تنبثق من مكاشفة مؤلمة للذات والجسد والذاكرة، حيث لا تسرد الكاتبة ذاتها بوصفها ضحية بل كذات فاعلة تعيد تشكيل جراحها كتابة، وتحول الألم إلى قوة كاشفة ومنتجة للمعنى، وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز قيمة الاعتراف في هذا السياق، فهو لا يمثل توبة بل فعل مقاومة يربك السلطة ويفضح المهيمن، مستندا إلى بلاغة الألم بوصفها طاقة تعبيرية تكسر الصمت وتعيد صياغة الهوية .

وقد أظهرت نتائج الدراسة أن "نوال السعداوي" قد تجاوزت في اعترافاتها البعد الشخصي لتنتج خطابا نقديا يعارض القمع الذكوري والديني والسلطوي، ويعيد للبوح شرعيته كأداة تفكيك وبناء، فالكتابة هنا تقف على حافة الفضيحة لكنها تستثمرها في تحرير الذات فيتحول الاعتراف إلى مشروع سردي وسياسي، يدين ويربك ويحرر.

كلمات مفتاحية: الاعتراف الذاتي، الكتابة، الجرح، الفضيحة، أوراق حياتي

Abstract:

This study deals with the representatives of shameful recognition in the biography of "Nawal Al -Saadawi" "My Life's Leaves" through the concept of writing from within the wound, as it is a narrative practice that emerges from a

* المؤلف المرسل: جنات زراد

painful revelation of dat, body and memory, as Al -Saadawi does not recount itself as a victim but as an active person who reshapes its wounds in writing, and the pain turns into a revealing force and produced to the meaning, so recognition in this context does not represent repentance He confuses power and exposes the dominant, based on the eloquence of pain as an expressive energy that breaks silence and reformulates identity, and transcends "Al -Saadawi" the personal dimension in its confessions to produce a critical speech that opposes the male, religious and authoritarian repression, and restores its legitimacy as a tool of dismantling and building.

Writing here stands on the edge of the scandal, but it invests in self -liberation, so recognition turns into a narrative and political project, condemning, confusing and liberating.

Keywords: Self-confession; Writing ;Wound; Scandal; My Life Papers

1. مقدمة:

يعد الأدب الاعترافي من أكثر الأجناس السردية قدرة على فضح المسكوت عنه ومساءلة الذاكرة الفردية والجماعية في ضوء التوتر القائم بين الذات والواقع، إذ يتحول الاعتراف من مجرد بوح شخصي إلى ممارسة خطابية تكشف البنى المضمرّة وتعريّ آليات السلطة التي تتحكم في الجسد والوعي، وفي هذا الإطار تبرز سيرة "نوال السعداوي" "أوراق حياتي" بوصفها نموذجاً دالاً على الكتابة من داخل الجرح، كتابة تستحضر الاعتراف في أكثر وجوهه حدة وصدامية، ولا سيما الاعتراف المخجل الذي يقتحم مناطق التابو ويعريّ البنى الاجتماعية والسياسية والثقافية، فيتحوّل النص إلى مساحة اشتباك بين الذاكرة الفردية ومجال السلطة، وبين الجرح الخاص والجرح الجمعي.

ومن هنا يطرح هذا البحث مجموعة من التساؤلات المتمثلة فيما يلي: كيف تمثّل الاعتراف المخجل في سيرة أوراق حياتي؟ وما الأبعاد الجمالية والفكرية التي يكتسبها بوصفه استراتيجية كتابية قادرة على تحويل الألم إلى خطاب نقدي يزعزع الثوابت ويعيد تشكيل علاقة الذات بالحرية ويكشف البنى الاجتماعية والثقافية؟ ما طبيعة هذا الاعتراف؟ وكيف يختلف عن الاعتراف التقليدي في السيرة الذاتية؟ إلى أي مدى يمكن اعتبار اعترافات السعداوي ممارسة نسوية احتجاجية تتجاوز البوح الشخصي إلى خطاب جماعي مقاوم؟ إن هذه التساؤلات تفتح المجال أمام فرضية مفادها أن الاعتراف عند السعداوي لا ينحصر في بعده التطهيري أو الكاثارسي، بل يتجاوزه إلى ممارسة نقدية واعية تسعى إلى مساءلة الموروث الثقافي وكشف سلطة الأعراف.

وأن الكتابة من داخل الجرح تشكل البنية المركزية التي تمنح هذا الاعتراف طاقته الجمالية وقيمتها المعرفية، كما يمكن افتراض أن الاعتراف المخجل يتحول في النص إلى خطاب احتجاجي يربط الخاص بالعام، والذاتي بالجمعي، ليصوغ تجربة نسائية مغايرة في فضاء الأدب العربي، وبهذا المعنى يهدف البحث إلى الكشف عن تمثيلات الاعتراف المخجل في نص السعداوي وربطه بجدلية الجرح والتحرر، وإبراز كيف ساهم هذا الاعتراف في إعادة تعريف صورة المرأة الكاتبة وفي تأسيس كتابة نسائية لا تخشى الفضيحة بقدر ما تراهن على الصدق والمواجهة، وذلك من خلال مقارنة تحليلية موضوعاتية تستند إلى استقراء النص في ضوء مفاهيم النقد الأدبي والنسوي، مع توظيف أدوات التحليل النصي للكشف عن الآليات التي تجعل من الاعتراف المخجل قوة خطابية مقاومة للسلطة والتهميش.

2. الاعتراف كفعل تطهيري تحرري

يأتي أدب الاعتراف كنوع من المصالحة مع الذات في ظل عالم يعج بالقيود الاجتماعية والثقافية التي تدفع الإنسان إلى التستر على أخطائه، ومحاولة إظهار صورة مثالية مزيفة، ومن هنا، فإن الكتابة الاعترافية تتحدى تلك القيود من خلال تقديم حقيقة الذات دون تزويق أو تزييف، ذلك أن "السرد الاعترافي هو سرد يتقصد الاثارة والنقد الذاتي اللاذع وتعرية الذات مما يجعله يدور على المستوى النوعي في فلك السيرة الذاتية"¹، مما يجعلها فعلا وجوديا يمكن الإنسان من استعادة إنسانيته، فالكاتب في أدب الاعتراف لا يسعى إلى تقديم نفسه كقدوة أو نموذج يُحتذى به، بل يظهر كإنسان هش يعترف بأخطائه وضعفه أمام القارئ، في محاولة لفهم ذاته والبحث عن خلاص داخلي، إذ تبرز في هذا السياق فكرة التحرر من عب الماضي حيث يتيح البوح والاعتراف للكاتب الفرصة لإعادة تفسير تجاربه من منظور مختلف، ومنحه القدرة على تجاوز الألم والندم، ما يجعل الكتابة في هذا السياق وسيلة للتحرر النفسي.

ويمكننا القول بكثير من الاطمئنان أن أدب الاعتراف هو أيضا فعل جرأة أدبية، لأنه يكسر الكثير من المحرمات الاجتماعية والثقافية، ويدفع الكاتب إلى تناول موضوعات عادة ما تبقى طي الكتمان، مثل العار، والذنب، والخطيئة، والعلاقة بالسلطة والمجتمع، وحتى تفاصيل الحياة اليومية التي قد يراها البعض غير جديرة بالسرد الأدبي، ولكنه في جوهره يتجاوز حدود الحكاية الشخصية ليعبر عن هم إنساني مشترك، حيث يجد القارئ نفسه في تفاصيل هذا البوح، ويشعر بأن تلك الاعترافات

ليست مجرد كلمات شخصية معزولة، بل هي تعبير عن صراعات وتجارب يعيشها الجميع بدرجات متفاوتة، لذا يمكن القول إن أدب الاعتراف يُسهّم في إعادة تشكيل العلاقة بين الكاتب والقارئ في وجود عامل الصدق والشفافية، "فبحضور الصدق تتولد الثقة بين صاحب الاعتراف ومتلقي التلطف فيصبح النص مرآة تعكس أعماق الذات وخباياها، ولكن دون مبالغة تخرج العمل من دائرة الأدب الاعترافي الذي يهدف إلى التوبة والندم ليدخل دائرة الأدب الفضائحي"² وتصبح القراءة عملية تفاعلية يتمها في القارئ مع النص، ويشعر بأنه شريك في التجربة وليس مجرد متلق سلبي.

تتطلب كتابة الاعتراف من الكاتب شجاعة فائقة وجرأة غير معهودة لأن الاعتراف يعني التخلي عن الدفاعات النفسية، وكشف الذات في أكثر حالاتها هشاشة وضعفا، فالنص الاعترافي لا يكفي بسرد النجاحات أو الإنجازات، بل يركز على الانكسارات واللحظات المظلمة في حياة الكاتب، مما يجعله نصا صادما في بعض الأحيان، ولكنه أيضا نص عميق يكشف عن البعد الإنساني المشترك الذي يجمع البشر رغم اختلاف تجاربهم وظروفهم، ولهذا السبب يُعتبر أدب الاعتراف من أكثر الأشكال الأدبية قدرة على إثارة التعاطف والتأمل، لأنه يعكس تجارب إنسانية صادقة تتجاوز حدود الزمان والمكان، إذ يقوم المؤلف بعملية الكشف عن الذات معرّيا إيها، مظهرا ما مرت به من سلوكيات مخزية ومواقف حساسة وأزمات داخلية عميقة، وخطايا ظل ذنبها هاجسا أمام صاحبها "ولا ضير على المؤلف إذا حفل بشيء من تصوير البيئة أو التفت إلى العالم المحيط به من شخصيات ووقائع وأحداث ومشاهد، فالأدب الاعترافي ليس رهين الذات وحدها، بل يمكن له أن يتجاوزها ليعبر عن هموم الجماعة فالمؤلف ينطلق من الذات باحثا عن أسئلة الوجود عائدا بأجوبة وفي عودته لا بد أن يمر بالجماعة"³، ومثال هذا الالتفات كأن يلمح للآفات الاجتماعية السائدة ويومئ لمعاناة أهله ورفاقه ويصور المحيط العام الذي يتعرّع فيه، باعتبار الأنا التي يتحدث عنها ليست بمعزل عن الآخر ولكن تبقى الذات هي محور الكتابة الاعترافية.

والجددير بالذكر أن أدب الاعتراف ليس مجرد جنس أدبي قائم على سرد الذكريات أو الحكايات الشخصية، بل هو مساحة تأملية وفلسفية تسعى إلى فهم الذات والعالم من خلال مواجهة الماضي بكل تفاصيله، سواء كانت مشرقة أو مظلمة، فهو في جوهره عملية بحث عن المعنى الوجودي للحياة،

إذ يحاول الكاتب من خلال البوح والاعتراف أن يجد تفسيراً لتجاربه، وأن يمنح ذاته فرصة للتصالح مع ماضيه، وتجاوز آلامه، فالكتابة الاعترافية هي إذن فعل تطهير روحي ونفسي، يمكن الكاتب من التخلص من الأعباء النفسية التي تراكمت داخله، ويتيح له فرصة جديدة للتفكير في المستقبل برؤية أكثر وضوحاً ونضجاً.

3. أدب الاعتراف واستنطاق المسكوت عنه

يعري أدب الاعتراف قضايا مسكوت عنها ظلت في طي الكتمان نظراً لحساسيتها وصعوبة الحديث عنها في المجتمعات التي تعاني من ضغوطات مختلفة تمارس عليها، وتعد هذه القضايا من التابوهات المحرمة التي يمنع الحديث عنها والخوض فيها، حيث يقوم كاتب الاعترافات بخرق هذه التابوهات بكل شجاعة أدبية وفكرية، في شكل "ترجمة ذاتية تعتمد عرض مواقف نفسية وعاطفية خاصة، وتمتلك الاعترافات جرأة خاصة على الوصف والإدلاء بالأحداث الأكثر شخصية والأكثر إخلالاً بالأعراف والأخلاق العامة"⁴، ويعد الحديث عن الجسد والتجربة الجنسية أحد أبرز جوانب كسر التابوهات في هذا الأدب، وهي من أكثر الموضوعات التي كانت تُعد من المحرمات عبر التاريخ، فالكاتب في النصوص الاعترافية لا يتردد في التطرق إلى تفاصيل جسده، أو الحديث عن الرغبات والهواجس الجنسية التي عادة ما يتم تجنبها في الأدب التقليدي، وهنا يكمن البُعد التحرري لأدب الاعتراف، إذ يُسهّم في فضح النفاق المجتمعي الذي يتظاهر بالطهرانية، في حين أن الواقع الإنساني مليء بالتجارب الجسدية والرغبات المكبوتة، ومن خلال كشف هذه التفاصيل، يُعيد الكاتب تشكيل مفهوم الجسد في الأدب، حيث يتحول من موضوع محرم إلى موضوع وجودي يعكس حالة الإنسان وصراعه مع ذاته ومع الآخر.

أما فيما يتعلق بكسر التابوهات المرتبطة بالدين والروحانيات، فإن أدب الاعتراف يطرح تساؤلات عميقة حول الإيمان، الشك، والخطيئة، فالكاتب في هذا النوع من الأدب لا يخشى التعبير عن لحظات ضعف إيمانه، أو اعترافه بخطايا الدينية، أو حتى شكه في بعض المعتقدات التي ورثها عن المجتمع، وفي هذا السياق يصبح النص الاعترافي مساحة للتأمل الروحي ومسألة الموروث الديني بعيداً عن أي قوالب جاهزة، كما أن الإنسان بطبعه يحاول إيجاد دوافع لأفعاله سيئة كانت أم جيدة سواء أراد ذلك أم لا "فقد يختار الكاتب أن يسلط الضوء على الأحداث التي شكلته حقاً أو يتخذ الكتابة

مساحة لتبرئة نفسه أو تبرئة العالم أو ممسحة لخطايا الروح"⁵، إذ لا يسعى هذا الأدب إلى مهاجمة الدين بحذ ذاته، بقدر ما يحاول تحرير التجربة الروحية من القيود المؤسسية، وتقديم فهم أكثر إنسانية للدين يعتمد على التجربة الشخصية بدلا من الالتزام الحرفي بالتعاليم.

ومن بين أبرز التابوهات التي يعمد أدب الاعتراف إلى كسرها كذلك نجد الحديث عن الموت والخوف منه، فالموت يعد من أكثر الموضوعات التي تُحيط بها الهالة المحرّمة، ويثير في النفس البشرية مشاعر القلق والرغبة، أو ما يعرف بالقلق الوجودي "وهو خوف الإنسان من كل ما يهدد وجوده والذي يعبر عنه بأشكال عدة منها الخوف من اللامعنى والموت والاعتراب وعدم الأمن والذنب والإدانة"⁶، لكن النصوص الاعترافية تتناول الموت بوصفه تجربة إنسانية حتمية لا يمكن التهرب منها، وتسعى إلى فهمه وتقبله من خلال الاعتراف بمخاوف الكاتب منه، أو بتجربته مع فقدان الأحبة، وفي هذا الإطار يتحول أدب الاعتراف إلى محاولة لترويض الخوف من الموت من خلال الحديث الصريح عنه والتأمل في معناه وتأثيره على حياة الإنسان.

ولا يمكن الحديث عن كسر التابوهات في أدب الاعتراف دون التطرق إلى السلطة والصراع معها، فالكاتب الذي ينتمي إلى هذا النوع الأدبي غالبا ما يتحدى السلطة السياسية أو الاجتماعية من خلال الاعتراف بتجارب القمع والاضطهاد التي مر بها، سواء على المستوى الشخصي أو الجمعي، خاصة عندما يكون الكاتب مثقفا وواعيا ويتحدى سلطة الدولة والقوانين الجائرة فهنا يكون قد جنى على نفسه، ويتعرض إلى أبشع أنواع الاضطهاد والإذلال، ف"السلطات المستبدة تستولد رعية وتحول الوطن إلى مكان قوامه السيطرة والإخضاع، يتعين الجلاد خالقا، يستقبل إنسانا يتحدث عن الكرامة والمستقبل، ويرده إلى كائن معطوب"⁷، ومن خلال كشف تلك التجارب يعمل النص الاعترافي على فضح آليات القمع والهيمنة، ويعيد صياغة العلاقة بين الفرد والسلطة في ضوء الحرية الفردية والكرامة الإنسانية، وهكذا يصبح أدب الاعتراف فعلا مقاوما يسعى إلى تحرير الذات من قيود السلطة، سواء كانت تلك السلطة متمثلة في الدولة، الأسرة، أو حتى الأعراف الاجتماعية.

إضافة إلى ذلك، يُسهّم أدب الاعتراف في كسر التابوهات المتعلقة بالهوية والاختلاف، من خلال تقديم نصوص تعترف بالاختلافات العرقية، الجنسية، أو الثقافية، وتدافع عن حق الأفراد في

أن يكونوا كما هم، دون الحاجة إلى الانصياع للمعايير المجتمعية الضيقة، فالاعتراف بالهوية المختلفة أو المهمشة يعد تحدياً للمفاهيم السائدة حول الهوية الجماعية، ويسهم في بناء تصور جديد للإنسان بوصفه كائناً متفرداً لا يمكن اختزاله في تصنيفات نمطية.

لا نجانِب الصواب إذا اعتبرنا أن أدب الاعتراف تجربة إنسانية عميقة تستدعي التأمل في الحدود بين الواقع والخيال، وبين الحقيقة والزيف، وبين ما يمكن قوله وما يجب إخفاؤه، إنه خطاب يضع الذات في مواجهة مع المجتمع، ويجعل الكاتب في حالة دائمة من التساؤل حول ماهية الحقيقة التي يسعى إلى البوح بها، وحول قدرة الكلمات على التعبير عن تلك الحقيقة بشكل كامل، ولهذا السبب، يظل أدب الاعتراف من أكثر الأجناس الأدبية جدلية وإثارة، لأنه يكشف عن أعماق الإنسان، ويعيد تشكيل العلاقة بين الذات والعالم بطريقة صادقة وجريئة ومؤثرة.

4. نوال السعداوي ورحلة البحث عن الذات

تأتي تجربة نوال السعداوي كواحدة من أبرز التجارب النسوية في أدب الاعتراف في العالم العربي، وقد تميزت كتاباتها بجراحة كبيرة في كسر التابوهات المتعلقة بالجسد الأنثوي، الدين، والجنس، مما جعلها صوتاً رائداً في الدفاع عن حقوق المرأة في العالم العربي، فحرية المرأة "تعني أن تمتلك روحها وجسدها وكل ما يتعلق بها، مثل اختيار نمط حياتها واتخاذ قراراتها وتحديد مصيرها وهدفها في هذه الحياة وتكون هي الوحيدة المسؤولة عن نفسها دون وصاية"⁸، ويعد كتاب "مذكراتي في سجن النساء" لنوال السعداوي من أبرز نماذج أدب الاعتراف، حيث تكشف فيه عن تجربتها الشخصية في السجن وما تعرضت له من قمع واضطهاد بسبب مواقفها السياسية والفكرية.

تتناول "السعداوي" في هذا الكتاب تجربة الاعتقال بوصفها لحظة فاصلة في تشكيل وعيها النسوي والسياسي، وتقدم من خلال اعترافاتها صورة عن معاناة المرأة في مجتمع يُمارس القمع بأشكال متعددة، سواء من خلال السلطة السياسية أو من خلال السلطة الذكورية، تقول: "وقفت أمامهم في الصالة الصغيرة مرفوعة الرأس مستعدة لمواجهة حد الموت"⁹، وسعت من خلال هذا الكتاب إلى كشف التناقضات التي تعيشها المرأة بين ما يُفرض عليها من أدوار اجتماعية وبين رغبتها في التحرر والانعتاق.

ومن الأعمال الأخرى التي تجسد أدب الاعتراف في تجربة نوال السعداوي، كتابها "امرأة عند نقطة الصفر"، حيث تعترف السعداوي من خلال بطلتها "فردوس" بحقيقة الواقع القمعي الذي تعانيه النساء في المجتمعات الذكورية، فالاعتراف هنا لا يقتصر على التجربة الذاتية للسعداوي، بل يتجاوزها ليصبح اعترافاً جماعياً باسم كل النساء اللاتي عشن تجارب القهر والاضطهاد، تقول: "وحين يركب عمي القطار ويسلم عليّ، أبكي وأقول له: خذني معك إلى مصر، ويقول عمي: ماذا ستفعلين في مصر يا فردوس؟ فأقول له سأدخل الأزهر وأتعلم مثلك، ويضحك عمي ويقول: الأزهر لا يدخله إلا الرجل، وأبكي وأمسك بيدي عمي، والقطار يتحرك، لكنه يشد يده من يدي بكل قوته فأقع على وجهي فوق الأرض"¹⁰، ويتجلى أدب الاعتراف في هذا النص من خلال فضح النظام الاجتماعي الذي يُكرّس دونية المرأة، وكشف البنى الفكرية التي تسهم في استمرار هذا القهر.

أما في كتابها "مذكراتي الشخصية" فتقدم السعداوي اعترافات أكثر عمقا حول علاقتها بجسدها، ودينها، وهويتها، فهي لا تخشى من مواجهة المحظورات الاجتماعية والدينية، بل تسعى من خلال هذه الاعترافات إلى تفكيك البنى الفكرية التقليدية التي تحاصر المرأة وتكبّلها، ويتضح هنا أن أدب الاعتراف في تجربة السعداوي ليس مجرد سرد لتجربة شخصية، إنما هو فعل تحرري يهدف إلى إعادة تشكيل الوعي الجمعي حول قضايا المرأة والجنس والحرية.

5. الكتابة من داخل الجرح - الإقرار المخجل وإعادة تشكيل الذات في "أوراق حياتي" -

تعتبر نوال السعداوي المرأة رقم واحد في الوطن العربي عامة ومصر خاصة إثارة للجدل، بآرائها وأفكارها وكتاباتها المناهضة للمرأة وطرحها لأفكار مخالفة للعقيدة الإسلامية والمجتمع المصري، كالدعوة لمنع تعدد الزوجات وإلى المساواة بين الرجل والمرأة في الميراث وإباحة الاجهاض.... وغيرها، لطالما تناولت قضايا عديدة في الدين، السياسة، الجنس "الثالوث المحرم" وقد خاضت نصالا صعبا ضد مجتمعها المحافظ الذي نبذها بسبب عقليتها وتوجهاتها وجرائها الكبيرة التي تتضح بجلاء في سيرتها الذاتية "أوراق حياتي" التي كتبتها في ثلاثة أجزاء، بينت فيها قدرتها وشجاعتها على كشف المخبوء وتعرية الذات، مظهرة مدى تصالحها مع ذاتها وكيانها، قدمتها في شكل اعترافات مبرزة من خلالها قوة شخصيتها، وقد كانت هذه الاعترافات مزيجا بين

بوح ذاتي وفضح اجتماعي لشخصيات حقيقية عاشت معهم أو عاصرتهم، من أبرز تظاهرات هذا الإقرار :

1.5 اعترافها بحزن أهلها كونها أنثى:

اعترفت الكاتبة بمدى حزن أهلها لكونها ولدت أنثى ورصدت بكلماتها لحظة ولادتها، مستندة على حكايات جدتها التي قصتها عليها، واصفه وجه كل شخص وردة فعله إزاء ولادة هاته الطفلة التي كانت ستكون ولي العهد لو كانت ذكرا، تقول: "لم تنطلق الزغرودة الأولى من فم أم محمد الداية، ولم تفتح الأم الوالدة جفونها لترى ماذا ولدت وكنت أنا بالمصادفة ذلك الشيء المولود، قلبته أم محمد الداية بين يديها مصمصة شفيتها في حسرة، ثم ألقت به داخل طشت الماء ليغرق"¹¹، ورافقت هذه الحسرة الكاتبة طوال طفولتها ومراهقتها لكونها أنثى فلطالما تردد إلى سمعها أحاديث عمتها وجدتها وهم يدعون لو تحدثت معجزة وتنقلب هذه الفتاة ذكرا، وتظهر نوال بأن والدها لم يكن راضيا عن ولادتها أنثى فتسرد في سيرتها كيف كان يحزن عندما تنجح ويرسب أخوها في الدراسة، كيف لم يستطع تقبل كونها أنثى، تقول: "في الليل أبي يهمس لأمي: يا ربتها كانت الولد وهو البنت، لازم علينا غضب من ربنا يا زينب"¹².

ولم يكن فقط جنسها فقط ما شكل لها حزنا وحسرة عند أهلها، بل أيضا لون بشرتها التي ورثتها من أبيها وعائلة الفلاحين وأفصحت نوال عن كيف تسبب لها النفور والسخرية من طرف أهل والدتها الذين ينحدرون من سلالة الأشراف والباشوات وكانت بشرتهم بيضاء، فذكرت أنهم كانوا دائمي التنمر على تلك الفتاة الصغيرة وعائلتها الذين كانوا من ذوي البشرة الزرقاء.

ولقد رصدت الكاتبة طوال أجزاء سيرتها الثلاثة هذا النفور من جنسها ولونها في مواضع متعددة، وأفصحت عن اللحظات المؤلمة التي عاشتها، وكانت هذه اليد الأولى التي دفعت بها إلى دائرة الاغتراب الروحي، فكرست كتابتها بل حياتها ككل للدفاع عن المرأة ومكافحة المعتقدات المتخلفة التي جعلت من الأنثى مصدرا للأحزان والهموم، وجعلت الذكر دائما أعلى منها وليس فقط في "أوراق حياتي" بل سائر أعمال "نوال السعداوي" تطرح هذه الفكرة، فلطالما كان قلمها سيفاً قاطعا ضد هذه الأفكار الرجعية.

2.5 اعترافها بمشاعرها الحقيقية تجاه بعض أفراد عائلتها:

أعربت "نوال السعداوي" بشكل صريح عن مشاعرها الداخلية تجاه ثلة من أفراد عائلتها، فتحدثت عن كرهها لجدتها وجدها من أمها لدرجة تمنيتها الموت لهما ولخالتها فهيمة، تقول: "أود ألا تصحو وتموت وهي نائمة. .. أكره جدي أكثر من جدي أدعو الله أن يأخذه... أتذكر أن جدي مات منذ سنوات، التي ترقد إلى جوارتي هي خالتي فهيمة وهي التي أريد أن أطبق على عنقها بأصابعي"¹³، وتعترف نوال أنها تشعر بتناقض كبير في مشاعرها إزاء والديها وجدتها، فتارة تشعر أنها تحبهم جدا، وتارة أخرى تنقلب مشاعرها من النقيض إلى النقيض وتشعر بكره ونفور شديد من ناحيتهم، وتحاول في اعترافاتها أن توضح سبب هذا التباين في مشاعرها بسبب مواقفهم وعقليتهم المتخلفة، تقول: "كنت أحب جدي الحاجة أكثر من جدي آمنة أو أي امرأة أخرى من عائلتي أبي وأمي، لكنني كنت أكرهها حين تقول: الولد الواحد بخمستاشر بنت، أنفجر بالغضب وأضرب الأرض بقدمي: لا يا ستي الحاجة البنت الواحدة بخمستاشر ولد"¹⁴، هذا التمييز بينها وبين الذكور ملاً حفيظتها حنقا وغضبا عليهم جميعا، فهي لا ترى بأنهم يفوقونها وهي الكاتبة الحاذقة والطبيبة الموهوبة، فآلت على نفسها أن تكافح هذا المعتقد الرجعي الذي يجعل من الرجل قديسا ومن المرأة إثما أو خطيئة.

وامتدد هذا التناقض في المشاعر ليشمل والدها كذلك، فلقد أفصحت الكاتبة عن كرهها له في فترة ما في طفولتها بسبب تمييزه بينها وبين أخيها وأقرت بأنانيتها حين عبرت عن فرحتها لفشل أخيها، لأن ذلك مهد لها الطريق للوصول إلى اهتمام والديها، كما يقال مصائب قوم عند قوم فوائد، تقول "إنه الانقلاب في حياة أبي وأمي، أخي طلعت كان حلمهما الأكبر، إلا أن رسوبه في المدرسة العام وراء العام أصابهما بالإحباط، ثم تحول الإحباط إلى أمل جديد في ابنتهما الكبرى، كنت أنا بالمصادفة هذه الابنة، كان لا بد لي من أخ فاشل حتى أحظى بالاهتمام"¹⁵، ولم تحظ أخوات نوال السعداوي بكمية كبيرة من الوصف، فلم تبد هذه الأخيرة أو بالأحرى لم تبج بمشاعرها تجاه أخواتها البنات فاكثفت فقط بذكر أختها ليلي وفي مشهد واحد ولم تصف للقارئ أي مشاعر تجاهها.

3.5 اعترافها بختانها وكرهها للحيض:

عمدت الكاتبة في سيرتها "أوراق حياتي" لذكر أبشع ما يمكن أن تتعرض له أنثى وبالأخص طفلة في عمر البراعم، أبشع جريمة في حق الجنس اللطيف ألا وهي ختان البنات، الذي شاع بشكل كبير ومبالغ فيه في فترة الثلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين، وكان شيئاً طبيعياً في ذلك الوقت، ولم يرقم أحد بتجريم هذا الفعل الشنيع لأسباب إما اجتماعية أو حتى دينية حسب اعتقادهم، وكانت "نوال السعداوي" من اللواتي تعرضن لمثل هذا الظلم، حيث وصفت بشكل دقيق عملية ختانها والتي لا ترقى أن يطلق عليها اسم عملية بل اضطهاد أو إجرام في حق الإنسانية، فهم لم يقوموا بها على سرير المستشفى بل على أرض حمام بيتهم، تعترف بقولها: "في السادسة من عمري لم أستطع إنقاذ نفسي، أربع نسوة في حجم الداية أم محمد تجمعن حولي، مكتوفة الذراعين والساقين، دقوا يدي وقدمي بالمسامير كالمسرح المصلوب... راقدة من تحتي بركة الدم، توقف النزيف بعد أيام نظرت الداية بين فخذي وقالت الجرح خلاص خف والحمد لله، الألم ظل غائراً في اللحم، لم أنظر بنفسي لأعرف مكان الألم... لا أعرف ماذا في جسدي من أشياء أخرى تستوجب القطع"¹⁶، لقد عانت الفتاة الصغيرة من هذا الألم ليس فقط جسدياً بل نفسياً ورافقها هذا الاحساس البشع طوال حياتها.

ولهذا السبب قامت السعداوي بشن هجمات عبر قلمها ولسانها على هذا الجرم الشنيع ونددت به في كل محفل وندوة، إذ "تعد واحدة من المثقفات المصريات اللواتي دافعن عن حق المرأة في تلك الفترة ودفعت ثمنها فصلها من وزارة الصحة، ففي عام 1972 نشرت كتاب بعنوان المرأة والجنس مواجهة بذلك جميع أنواع العنف التي تتعرض لها المرأة كالتحтан"¹⁷، وقد ذكرت هذا الأمر في سيرتها الذاتية مفتخرة أنها أنقذت ابنتها وبنات كثيرات بفضل كتاباتها التي وجدت صدى في أوساط البيئة المصرية، ولم تكنف فقط بالتصريح بعملية الختان التي تعرضت لها بل اعترفت كذلك بكرهها للحيض وبأنها تعتبره إثمًا وعقوبة من الله للأنثى.

4.5 اعترافها بشكوكها حول الدين وقدره الله:

شكلت كتابات نوال السعداوي صدمة في بلدها مصر أولاً ثم لدى الجمهور العربي في كل البلاد العربية ثانياً، واتهمت من قبل القراء والنقاد بالإلحاد وأنها تزدرى الدين والقيم الإسلامية، ولقد بينت الكاتبة في سيرتها رحلتها التي كانت محفوفة بالأسئلة حول الدين، الإله، والروح غيرها من الأشياء الغيبية، واصفة تحولها من فتاة صغيرة تخاف من قدرة الله من أن يقلبها ذكراً بعد دعاء عمّها وجدتها، وتخشاها من أن تقدم خطبة حول الهجرة النبوية على مسامع الحاضرين وهي في فترة الحيض، إلى فتاة تسأل عن كل شيء بدءاً من التمييز بين الذكر والأنثى حين كان والديها يعيطان لأخيها ضعف ما يعطيانها بحجة أن للذكر مثل حظ الأنثيين، انتقلا إلى الاحتجاج على نسبة الولد أو البنت للأب دون الأم، واعتبرت هذا عنصرية واضطهاداً لحق المرأة، ثم انتقدت الزواج ورأت أنه استبعاد للمرأة، وأن بنود الزواج شيء غير طبيعي، تقول: "قانون الزواج ينتهك قانون الأخلاق... لم يكن لي أن أقرأ بنود قانون الزواج دون أن يتملكني الغضب... هل يمكن أن أضع نفسي تحت طائلة هذا القانون؟ أليس هذا نوعاً من الجنون أن أقدم على الزواج من أي رجل وإن أحببته"¹⁸.

ومع كل مرحلة في حياتها تزداد أسئلتها وشكوكها حول الدين الإسلامي بشكل خاص وحول الأديان عامة، وحول الذات الإلهية بشكل أكبر، وازدادت الشكوك أكثر عندما توفيت والدتها وتحولت من حالة حزن على وفاة والدتها إلى حالية تفكير في مصيرها بعد الموت، هل هناك جنة للنساء بعد الموت مثلما هناك جنة للرجال؟، وبدأت في رحلة الكشف عن حقيقة هذا الإله والدين، وانتقدت السعداوي الجنة وحوار العين ووصفتها بأنها متعة للرجال فقط وفي حوار دار بينها وبين صديقها الشاعر رجاء صرحت بأنها تفضل الجحيم على الجنة لأنها في الجنة ستكون في منافسة مع حور العين من أجل متعة رجل واحد، وأبدت الكاتبة غضباً ونفورا من هذا المصير الذي تراه انتفاصاً من مكانة المرأة وكرامتها، وأقرت بأنها لا تحلم حتى بدخول هاته الجنة، وكان هذا الأمر نتيجة أن الطيبية نوال ترى أن الله فضّل الذكور على الإناث لأنه هو في الأصل ذكر كما تقول وتدّعي " الله يفضل الرجال على النساء، الله صاحب الجلالة مذكر وليس مؤنثاً، في القرآن الله لا يلد ولا يولد... لم تعد كلمة الله تخرج من فمي عادية، أصبحت مشحونة

بالكهرباء... أخشى لو نطقت بها أن ينفجر المكبوت في أعماقي منذ الطفولة أن ينكشف السر وراء إيماني وهو الخوف من أي أو خوف من الله ونار جهنم الحمراء بعد الموت"¹⁹، لقد تحولت الكاتبة والطبيبة نوال من فتاة يضرب فيها المثل في شدة التقوى والتدين إلى عدوة الله والاسلام والأديان في أنظار الكثيرين، وعلى لسانها هي شخصيا حيث اعترفت بأنها صارت ملقبة بعدوة الإسلام والشيطانة النسوية.

5.5 اعترافها بالقيام بعملية إجهاض لطفلها من زوجها الثاني:

نادت "السعداوي" طوال حياتها بحرية المرأة وحرية جسدها وأنه ملك لها فقط تتحكم به كما تشاء هي وترضى، وليست ملكا للرجل أو تابعة له، بل هي كيان مستقل وقد اعترفت بأنها قامت بعملية إجهاض لأنها اعتبرته حمل غير مقدس نتيجة زواجها من رجل لا تحبه، رجل قانون لا يهتم بما تحب يتهمها دائما بأنها مجنونة غارقة في عالم الكتابة، رجل لا يهتم إلا أن ترضخه لسلطته، فأقدمت عدة مرات على محاولة التخلص من هذا الحمل حيث ضربت بطنها عدة مرات، وابتلعت كميات من الحبوب حتى أنها حقنت نفسها بعقاقير الإجهاض، وفي إحدى المرات التي حاولت فيها طرد هذا المخلوق غير المرغوب فيه عن طريق قفزها من الشرفة فانكسرت ذراعها اليمنى.

ورغم كل هذه المحاولات لم يستسلم هذا الطفيلي وبقي متشبثا برحم الأم حتى أتى ذلك اليوم الذي أفاق فيه من نومها لترى زوجها يحمل روايتها ويرمي بها من النافذة نحو الشارع، هاته الرواية التي تعتبرها نوال حياتها وسهرت الليالي لكتابتها فقفزت وراء الرواية لتنقذها ولكنها تسببت في إيذاء نفسها وإيذاء جنينها، الذي لم بتحمل هذه المرة وترك الحياة، تقول: "راقدة فوق ظهري مفتوحة الساقين أسمع الأطباء يتبادلون الكلمات غير المفهومة ويقولون إيفاكيوويشن... لكنها تعني في لغة الطب أو الجراحة طرد الجنين من الرحم.. بمعنى آخر الإجهاض"²⁰، وهكذا تخلصت من هذا المخلوق الدخيل.

6.5 اعترافها بطلبات طلبت منها كالقتل أو الإنجاب السفاح:

صرّحت "السعداوي" بأنها قد طلبت منها طلبات فضيعة ومحرمّة، قالت أنها لم تفعل بعضها وأخرى لم تصرّح إن كانت فعلتها أم لا، فتصف في الجزء الثاني من سيرتها كيف عانت أمها من مرض السرطان وكيف كانت سترضخ لطلبها بأن تسممها لكي تتخلص من الألم ووجع السرطان الذي نخر جسمها، لولا أن الفتاة لم ترض بأن تقوم بهذا العمل كونها طبيبة ولا تتجرأ على قتل أمها، ورد في سيرتها قول أمها: "يا نوال ها تيلي سم أشربه عشان أموت إذا كان في قلبك رحمة... قلبي مليء بالرحمة، فهل أقتل أُمي؟... يمكن أن أزيد لها جرعة المورفين إلى حد الموت؟... وفي ليلة حين فاض عليها الألم وفاض حب ابنتها لها أقدمت على إنهاء حياتها... وفشلت في المهمة... تركتها تعيش مع الألم حتى ماتت وحدها بدوي"²¹، إذ لم تجرأ على فعل ذلك وهي الفتاة الشجاعة التي لا تخاف من دين أو مجتمع أو قانون، وهي التي تحدت رجال الدين من أجل أفكارها، ووقفت في وجه قوانين الدولة الصارمة والحكام ورجال البوليس، وتحدت العالم بأسره من أجل مبادئها، لكنها جنت وضعت أمام أمها.

كما أقرت "السعداوي" في سيرتها أن أحد المرضى طلب منها القيام بعلاقة جنسية من أجل إنجاب طفل، إذ كانت هذه أمنيته الأخيرة قبل الموت، وصرحت أنها قد استجابت لطلبه وحققت أمنيته، لكنها لم تذكر أنها أنجبت منه، بل اكتفت فقط بسرد الحدث قائلة: "أنا أريد طفلاً يرث ذكائك قبل أن أموت، أتحقيق رغبة إنسان فقد كل شيء من أجل الوطن إلا القدرة على الإنجاب... صوته أصبح ممزوجاً بالدم، أحوطه بذراعي كأنما هو طفلي... إنه يموت بين ذراعي أنا أحقق له رغبته الأخيرة قبل أن يموت... مات غسان تلك الليلة"²².

5.7 اعترافها بتعرضها لتهديدات بالقتل:

تعرضت الكاتبة حسب أقوالها في هذه الأجزاء الثلاثة لتهديدات عديدة من أطراف كثيرة ومختلفة بسبب أفكارها وآراءها الشاذة التي تتعلق بالكثير من القضايا الحساسة خاصة فيما يخص الجانب الديني، فلقد اتهمها رجال الدين والإخوان المسلمون بالإلحاد والكفر وازدراء الدين والتقليل من تعاليم وشعائر الإسلام، وتحولت هاته الاتهامات إلى تهديدات بالقتل، ليصل هذا التهديد إلى التحريض عليها وإهدار دمها، تقول: "في الليل أسمع صوتاً ينطق من الميكروفون، لا

أعرف من أين يأتي؟ من مئذنة الجامع؟ حيث الكنيسة؟ الديسكو كلوب ماكدونالد؟ صوت غريب يسري في ظلمة الليل أقتلوهم حيث وجدتموهم، الكفرة أعداء الله فلان وفلان، أسماء أدباء وشعراء ثلاثين أو أربعين اسماً، ويرن إسمي نوال السعداوي يخترق رأسي مثل طلقة الرصاص"²³. كما تصرح الكاتبة أنها تعرضت لتهديدات بالقتل من طرف جنسيات عربية مختلفة منها السعودية والكويتية والجزائرية والخليجية، كانت تتلقى تهديدات بالقتل وشتائم عبر أسلاك التلفون وترسل إليها رسائل مليئة بالشتائم عبر دون توقيع يصفونها بأنها كافرة وعدوة الإسلام وحليفة الشيطان، وأن مثلها يستحق الموت دون رحمة، وقد استغربت نوال السعداوي من كمية الكره والحقد تجاهها كيف لأفكارها أن تسبب كل هذا الإزعاج حتى أنها اضطرت للخروج الاضطراري من مصر والذي أسمته المنفى وهذا بسبب أنها "تلقت تهديدات بالقتل من طرف أصوليين كما رفعت ضدها دعاوي قضائية، لتضطر في نهاية المطاف إلى العيش في منفى الولايات المتحدة"²⁴، لقد عاشت الغربة والمنفى الاضطراري بسبب أفكارها المتطرفة والشاذة في بيئة عربية مسلمة محافظة.

5.8 اعترافها بمعارضتها للسياسة ونظام الحكم في مصر:

لم تقم كتابات السعداوي بثورة على رجال الدين والأصوليين فقط بل ثارت كذلك على الحكومة ورجال السياسة، فنوال الصغيرة التي عاشت في بيئة ثورية والتي شارك والدها في ثورة 19 والتي كانت دائمة الفخر به وانتهجت منهجه الفكري والثوري، حيث ورثت منه الشجاعة والجرأة في قول الحق فكانت الكاتبة ضد نظام حكم الإخوان لمصر، وكانت من أبرز المعارضين لنظام السادات وقد كتبت عن هذا بكل جرأة دون أن تهاب أي أحد حتى ألقى عليها القبض لتقع في السجن مدة ثلاثة أشهر، لتخرج بعدها عقب اغتيال الرئيس "أنور السادات"، ووصفت بعدها نظام الحكم في مصر بقولها: "كانت مراقبة غير دائمة متقطعة بحسب ذبذبات الحكم في مصر، حكم مذبذب بين اليمين واليسار، يستقر في الوسط دون نظرية أو فكر... مثل هذا الحكم لا يؤدي في النهاية إلا إلى الهزيمة، منذ ولدت في بداية الثلاثينيات حتى اليوم لم تشهد بلادنا إلا الهزيمة وراء الهزيمة..."²⁵، ورغم أنها لم تنتمي إلى أي حزب إلا أنه قد ألقى عليها القبض

إثر مقالة كتبها في صحيفة جديدة تنتمي لحزب المعارضين لحكم السادات، بل أسندت لها تهمة بالعمالة لحساب دولة أجنبية "بلغاريا" من طرف الحكومة.

وقد أنكرت نوال هذه التهمة وبشدة وأكدت بأنها مجرد تلفيق لها، وليست هي فقط بل لكل المعارضين، واستغربت اختيارهم لبلغاريا دون غيرها من البلدان رغم عدم زيارتها لها من قبل، وقد كان هذا ثمن أفكارها وكتاباتها بشكل خاص، حيث أصبح اسم نوال السعداوي مسجلاً في أقسام وزارة الداخلية وإدارة الرقابة على النشر والكتابة والمصنفات الفنية والشؤون الاجتماعية ومصلحة السجون، فانتقدها لأنظمة الحكم والرؤساء والقوانين التي وصفتها بالظالمة الغاشمة جعلها عرضة للسب والشتم والتهديد، لكنها لم ترضخ وكافحت لإثبات عدالة قضيتها، ولأن الحكومة المصرية كانت قد حظرت ومنعت كتبها ومؤلفاتها في مصر اضطرت إلى نشرها لاحقاً في بيروت ولم تمنع الحكومة كتبها ومؤلفاتها فحسب، بل قامت بنفيها أيضاً، لأنها لم تتستر ولم تخف من إبداء رأيها في كل رئيس وكل حكومة ولم تحني رأسها لناقديها طمعا في تفادي ألسنتهم التي ترشقها بالكلام مثل السهام دون هوادة، فلقد أزعجتهم تعريتها لحقيقة النظام.

5.9 نوال السعداوي والبوح الجماعي:

على الرغم من أن نوال السعداوي كانت كاتبة وأديبة لا يشق لها غباراً اقتحمت المحظورات وكسرت التابوهات وتحدثت بكل جرأة وقوة لتكتسب بذلك مليون صديق ومليار عدو، وفي سيرتها "أوراق حياتي" قامت بتعرية الذات بشكل لا يجرأ عليه أحد، فخاضت في مسائل الدين والسياسة... أما الجنس لم تفصح فيه كثيراً فاللحظة الوحيدة التي ذكرتها كانت في الجزء الثالث من عملها حين وصفت علاقتها الجنسية مع زوجها الأول أحمد وقرفها منها، تقول: "كان هناك شيء غير طاهر يحدث لي في الليل شيء لا يبعث على اللذة بل الألم والإثم، وكان زوجي الأول رجلاً مكتمل الرجولة"²⁶، إذ أقرت بكل صراحة أنها قد حرمت من اللذة الجنسية طوال حياتها ولم تستمتع بحياتها الزوجية والحميمية أبداً.

أما باقي المرات التي خاضت فيها نوال في هذا التابو لم تتحدث فيها عن تجربتها الخاصة، بل كشفت عن تجارب لآخرين عاصرتهم وعاشت معهم أو عرفتهم فأسهبت الكاتبة في الجزء

الأول من سيرتها الذاتية في الحديث عن ليلة دخلت أمها وجدتها بالتفصيل الحمل، فهي محاطة منذ نعومة أظافرها بحكايات ومواقف زاخرة بالجنس والعلاقة بين الرجل والمرأة، ومن بين الحكايات التي تسمعتها كانت ليلة دخلت جدتها "مبروكة أم السيد" والتي قصتها عليها بنفسها "أستمع إلى حكاية جدي، فمي مفتوح... تلك الليلة كانت ستي الحاجة في العاشرة من العمر، لم يدركها الحيض بعد، رقد حبش فوقها وهي تدس الطرحة في فمها تكتم الصراخ، لم يكن للعروس أن تصرخ إلا لسعتها الخيزرانة أو ألسنة الجيران، فلا يعود لها أو لأبيها وجه في القرية"²⁷، ومرة أخرى تلك الفتاة الشغوفة الصغيرة التي تتذكر العلاقة الحميمة بين أبويها ولا تنسى أي تفصيل من تلك اللحظات وغمرة الحب التي جمعتهم، وتشهد نوال في بيت جدها حمل الخادمة الصغيرة "شلبية" حمل سفاح، والحالة المؤسفة التي كانت عليها حين كشف أمرها وحين بدأت الأسئلة تنهال عليها حول هوية من مارست معه الرذيلة، ورغم رغبة نوال الصغيرة في مساعدة هذه الفتاة إلا أنها لم تعرف كيف ولم تعلم ما مصير هذه الصغيرة - التي كانت من نفس عمرها - بعد مغادرتها البيت، هل ذهبت إلى الموت؟ أم إلى المجهول؟

في رحلتها كطبيبة عملت السعداوي في عدة أماكن تسرد هاته المواقف أو بالأحرى المشاكل الصعبة التي واجهتها، والمتمثلة في الجهل التام بموضوع الجنس فكانت شاهدة على جرائم تحت ما يسمى بالشرف، وسلسلة من الاعتداءات الجنسية على النساء وكذلك زواج القاصرات خاصة عندما عملت في قريتها "كفر طحلة"، عندما حاولت جاهدة وتسَلَّحت بمهنة الطب لتتخذ مسعودة التي تزوجت برجل يفوقها بواحد وخمسين عاما وكانت هي في عمر العاشرة حين زواجها لكنها فشلت لأن زوجها ووالدها ومعهم رئيس الوحدة الصحية "خير الله" رفعوا شكوى ضدها وأحضروا الشرطة لأخذ الفتاة، ونجحوا في الأمر على الرغم من أن الطبيبة نوال كتبت في التقرير الذي شخصت فيه مريضتها بأن زوجها الشيخ كان يغتصبها من الخلف منذ كانت في العاشرة من عمرها، فكتبت تقول: "المريضة مسعودة زيدان مصابة بمرض عصبي.. أنصح بعد شفاءها ألا تعود لبيت زوجها فهو سبب المرض يضربها كل ليلة ويغتصبها جنسيا من الخلف وهي ساجدة تصلي لله"²⁸، وقد أكدت هذا الكلام مسعودة بنفسها حين قصت على

الطبيبة حكايتها بالتفصيل الحمل وأن أهلها يدعون أنه قد ركبها عفريت ويجبرونها على أمر لا تطيقه، فنقول المريضة: "كان عمري عشر سنين... جوزوني غصب عني من ابن عم العمدة راجل كبير أكبر من سيدي أبو أبويا... يناولني كف على صدغي ويركب فوقني زي ما يركب الحمارة ويكنم فمي بإيده عشان صوتي ما يطلعش، وكنت أموت يا دكتورة وروحي تطلع وهو فوقني..²⁹ ولقد نددت نوال السعداوي بظاهرة زواج القاصرات وشدت على أن يكون هناك قانون يضع حدا لهذه الجريمة خاصة التي تحدث في المناطق المعزولة والفقيرة من الأرياف.

6. خاتمة:

تمثل سيرة نوال السعداوي "أوراق حياتي" تجسيدا حيا لمفهوم الكتابة من داخل الجرح، حيث تتخذ الاعترافات المخجلة موقفا جوهريا في بناء خطاب ذاتي يتجاوز التوثيق إلى الفضح، ويتخطى الإخبار إلى المقاومة، فالكتابة هنا ليست فعلا سرديا محضا، بل فعل تحرر من قمع مزدوج: اجتماعي وجندري، يتخذ من الجسد والتجربة الأنثوية حقلا للتفكيك والمساءلة، وقد توصل البحث إلى جملة من النتائج يمكن إجمالها فيمايلي:

قدمت نوال السعداوي الاعتراف بوصفه آلية تطهيرية (catharsis) يعيد تشكيل الذات في مواجهة القهر الجنسي، وتمنحها القدرة على التماسك في وجه الانكسار وتعيد للأنوثة صوتها المصادر، من خلال الانحياز إلى صدق موجه قدمت فيه الاعتراف المخجل كأعلى درجات الصدق وكآلية لتفكيك الخطابات القائمة للأنوثة.

استطاعت الكاتبة أن تتحرر بفعل الكتابة من سلطة الرقابة متمردة على أخلاق السرد النسوي التقليدي فكتبت ضد القيم المؤسسة للصمت، رافضة الاستيلااب السردية والأخلاقي لتنتصر في النهاية لذات تكتب لتتحرر لا لتجمل، وجسدت معنى الكتابة من داخل الجرح بوصفها مقاومة لا مجرد توثيق للألم.

وبناء على ما سبق يتضح أن نوال السعداوي لم تكتب سيرتها الذاتية من موقع النرجسية أو التوثيق الزمني، بل من موقع المقاومة الجذرية للخطابات المقموعة، حيث غدت الكتابة ذاتها شكلا من أشكال الوجود البديل، فقد مثل الاعتراف المخجل لديها لحظة فارقة في تأكيد الذات

الكاتبة كذات نقدية تتجاوز الأطر الجاهزة للأنوثة والأخلاق والمعرفة، وفي هذا السياق لا تمثل أوراق حياتي فقط وثيقة شخصية بل نصجا فاضحا ومحمررا ومربكا، يقارب بين الألم والكتابة، بين الحقيقة والانكشاف، وبين الذات والآخر، وهكذا تتجلى أخلاقيات الاعتراف عند السعداوي بوصفها مشروعا تحريريا ومعرفيا، بعيد التفكير في الحدود بين الأدب والسياسة والجسد ويمنح للروح موقفا جديدا في الثقافة العربية، موقف يكتب من الجرح ليشفى، ويعترف ويحرر.

7. الهوامش:

- 1- محمد صابر عبيد: السيرة الذاتية الشعرية. قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية. عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، إربد، الأردن، 2008، ص30/31.
- 2- وردة لعراب: أدب الاعترافات في الأدب العربي؛ القضايا والملاحم الفنية، أطروحة دكتوراة في الأدب العام والمقارن، كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الشاذلي بن جديد، الطارف، 2018/2017، ص46.
- 3- المرجع نفسه، ص43/42.
- 4- سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية، دار الكتاب، ط1، بيروت، لبنان، 1985، ص149.
- 5- كاميليا حسين: رغم إمتلائنا بالكاذب لماذا نقع في غرام كتب السيرة الذاتية على موقع: <https://www.aljazeera.net.ampproject.org>، تم الاطلاع بتاريخ 2025/03/03 على الساعة 21:02.
- 6- محمد سعد وآخرون، الخصائص السيكمترية لمقياس القلق الوجودي لدى عينة من طلاب الجامعات الفلسطينية، مجلة البحث العلمي في التربية عدد20، ج2019، 12، ص228.
- 7- فيصل دراج، الذاكرة القومية في الرواية العربية، الذاكرة القومية في الرواية العربية، من زمن النهضة إلى زمن السقوط، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، القاهرة، 2008، ص137.
- 8 - ياسمين يحيى، حرية المرأة في مفهوم العرب، حقوق المرأة في كافة المجالات، جريدة الحوار المتمدن، 1-4-2009.
- 9 - نوال السعداوي، مذكراتي في سجن النساء، دار مشورات الربيع، دط، القاهرة، مصر، 2019، ص28.
- 10- نوال السعداوي، امرأة عند نقطة الصفر، مؤسسة هنداوي، ط2، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 2003، ص20.
- 11- نوال السعداوي: أوراق حياتي، الجزء الأول، دار الآداب، ط1، مصر، 2000، ص16.
- 12 - المصدر نفسه، ص112.
- 13- نوال السعداوي: أوراق حياتي، الجزء الثالث، دار الآداب، ط1، مصر، 2000، ص44 45.
- 14- نوال السعداوي: أوراق حياتي، الجزء الأول، ص34.
- 15 - المرجع نفسه، ص153.
- 16 - نوال السعداوي: أوراق حياتي، الجزء الأول، ص45.

- 17- نوال السعداوي والختان، محمد عبد الرحمن <https://www.aljazeera.net.ampppproject.org>، تم الاطلاع بتاريخ 2025/03/15 على الساعة 15:22.
- 18- نوال السعداوي: أوراق حياتي، الجزء الثاني، دار الآداب، ط1، مصر، 2000. ص64.
- 19- المصدر نفسه، الجزء الثالث، ص162.
- 20- نوال السعداوي: أوراق حياتي، الجزء الثاني، ص64.
- 21- المصدر نفسه، ص130-131.
- 22- نوال السعداوي: أوراق حياتي، الجزء الثالث، ص184 185.
- 23- نوال السعداوي: أوراق حياتي، الجزء الثاني، ص24.
- 24- ياسمين تاييلور كولمان: نوال السعداوي الناشطة النسوية صاحبة الكتابات الخطرة على موقع www.bbc-com.cdn، تم الاطلاع بتاريخ 2025/03/17 على الساعة 22:15.
- 25- نوال السعداوي: أوراق حياتي، الجزء الثالث، ص80.
- 26- نوال السعداوي: أوراق حياتي، الجزء الثالث، ص24.
- 27- نوال السعداوي: أوراق حياتي، الجزء الأول، ص20 23.
- 28- نوال السعداوي: أوراق حياتي، الجزء الثاني، ص108.
- 29- المصدر نفسه، ص107.
- 8. قائمة المراجع:**
- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية، دار الكتاب، ط1، دار البيضاء بيروت لبنان، 1985.
 - فيصل دراج، الذاكرة القومية في الرواية العربية، من زمن النهضة إلى زمن السقوط، مركز دراسات الوحدة العربية، القاهرة، ط1، 2008.
 - كاميليا حسين، (2018)، رغم إمتلائنا بالأكاذيب لماذا نقع في غرام كتب السيرة الذاتية، على موقع: <https://www.aljazeera.net.ampppproject.org>
 - محمد سعد وآخرون، الخصائص السيكمترية لمقياس القلق الوجودي لدى عينة من طلاب الجامعات الفلسطينية، مجلة البحث العلمي في التربية عدد20، 2019.
 - محمد صابر عبيد، السيرة الذاتية الشعرية، قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اربد الأردن، 2008.
 - نوال السعداوي والختان، محمد عبد الرحمن، (2016)، على الموقع الموقع: <https://www.aljazeera.net.ampppproject.org>
 - نوال السعداوي، امرأة عند نقطة الصفر، مؤسسة هنداوي، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط2، 2003.
 - نوال السعداوي، أوراق حياتي، الجزء الأول، دار الآداب، مصر، ط1، 2000.

- نوال السعداوي، أوراق حياتي، الجزء الثاني، دار الآداب، مصر، ط1، 2000.
- نوال السعداوي، أوراق حياتي، الجزء الثالث، دار الآداب، مصر، ط1، 2000.
- نوال السعداوي، مذكراتي في سجن النساء، دار منشورات الربيع، القاهرة، مصر، دط، 2019
- وردة لعراب، أدب الاعترافات في الأدب العربي؛ القضايا والملاحق الفنية، أطروحة دكتوراة في الأدب العام والمقارن، كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الشاذلي بن جديد، الطارف، 2018/2017.
- ياسمين تايلور كولمان، (2017)، نوال السعداوي الناشطة النسوية صاحبة الكتابات الخطرة على موقع www.bbc-com.cdn.
- ياسمين يحيى، حرية المرأة في مفهوم العرب، حقوق المرأة في كافة المجالات، جريدة الحوار المتمدن، 1-4-2009.